الفصل الثانى

طبيعة العلاقة بين الغرب وأفريقيا في فكر وولتر رودنى

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

حاول الكثير من المفكرين المهتمين بالشأن الأفريقي تناول طبيعة العلاقة بين القارة الأفريقية والغرب بالبحث والتحليل والتنظير لتحديد ماهية وطبيعة تلك العلاقة، والوقوف على الأسس والقواعد التى يمكن أن تكون نقطة انطلاق لتفعيل دور الطرف الأفريقي فى هذه العلاقة، ولكن كان الاختلاف الذى وصل إلى درجة التناقض هو سمة تلك الرؤى والتصورات، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء خصوصية تلك العلاقة لما تحمله من موروثات ومؤثرات وخبرات تاريخية، ومتغيرات معاصرة، وغموض مستقبلى. وقد زاد الاهتمام الفكرى بدراسة تلك العلاقة فى الفترة التالية لحصول معظم الدول الأفريقية على الاستقلال، ومحاولة المفكرين إيجاد نهج جديد لها يجعل القارة بمنأى عن استغلال الغرب، ويحرر أبناءها نفسياً من خبرات الفترة الاستعمارية، ولكن ظلت الخبرة التاريخية وما نتج عنها من تأثيرات وتحديات معاصرة محدداً أساسياً فى طبيعة تلك العلاقة وفى السمات الأساسية لها فى الآونة الراهنة.

وقد اختلفت تصنيفات المفكرين الأفارقة لطبيعة تلك العلاقة، وكان ذلك الاختلاف بسبب المنظور والهدف والخبرات التى أثرت على كل مفكر منهم، ففى حين رأى البعض أنها علاقة بين طرفين متساويين قانونياً، وما يعتريها من أبعاد سلبية هو سمات لمرحلة انتقالية تمر بها هذه العلاقة، رأى البعض الآخر أنها علاقة غير متكافئة وتبادل اقتصادى غير متكافئ، وذهب آخرون إلى القول بأنها علاقة «استعمار جديد» تأثراً بخبرة الفترة الاستعمارية. وقد انعكس ذلك الاختلاف فى تقسيم المفكرين لدول العالم ما بين اتجاه يميز بين شمال صناعى متقدم، وجنوب غير صناعى متخلف، بينما يميز البعض الآخر بين دول ديمقراطية رأسمالية ودول غير ديمقراطية عليها أن تتبع الرأسمالية، فى حين ذهب اتجاه إلى التمييز بين دول مُستغِلة ودول مُستغَلة.

وقد اهتم رودنى بدراسة طبيعة تلك العلاقة، بل ويمكن القول بأنها القضية المحورية والإشكالية الأساسية فى الرؤى والتصورات التى قدمها، إذ قام بدراسة طبيعة تلك العلاقة وسماتها متخذاً من الدروس والأحداث والخبرات التاريخية نقطة انطلاق، مسترشداً بالرؤى والتصورات الاشتراكية أيضاً، كما تأثر كذلك فى دراسة هذه العلاقة بالأحداث والخبرات وسمات المرحلة التاريخية التى عاصرها.

كذلك حاول رودنى دراسة هذه العلاقة فى المرحلة الاستعمارية وما سبقها، ثم تتبع تطورها حتى مرحلة ما بعد الاستقلال، كما حاول أيضاً أن يقدم الرؤى والتصورات التى يمكن من خلالها علاج ما فى هذه العلاقة من أبعاد سلبية وعدم توازن فى المرحلة التالية لهذه الفترة الاستعمارية. لذا سيخصص هذا الفصل لدراسة طبيعة تلك العلاقة فى رؤى وفكر رودنى، فى حين سيتناول الفصل القادم من الدراسة التصور البديل والحل الفكرى الذى قدمه للعلاقة بين الغرب وأفريقيا.

وستتم دراسة طبيعة هذه العلاقة فى فكر رودنى فى هذا الفصل من خلال ثلاثة مباحث، يتصدى الأول منها لتحليل أثر هذه العلاقة فى تخلف القارة الأفريقية، وكيف كان للغرب تاريخياً الدور الأساسى فى هذا التخلف، وتحليل طبيعة هذا الدور فى الوقت المعاصر، فى حين يتناول **المبحث الثانى** رؤى وتصورات رودنى لقضية الاستعمار الجديد وأشكاله كأحد أبعاد هذه العلاقة فى الفترة التالية للاستقلال، وتحليل السبل والسياسات التى طرحها للتصدى للأشكال المختلفة من هذه الممارسات الاستعمارية، وأخيراً يتناول **المبحث الثالث** تحليل رؤى رودنى للتقسيم الإثنى وعلاقته بالتقسيم الطبقى، وكيف يمكن الربط بينه وبين التقسيم بين الدول على مستوى العالم، وكيف أثرت العلاقة بين الغرب وأفريقيا تاريخياً على التكوينات الاجتماعية الطبقية فى العديد من الدول.

المبحث الأول

دور الغرب في تخلف أفريقيا

اختلفت الرؤى والتصورات التى قُدمت بشأن التنمية فى أفريقيا حول المقصود بالتنمية، وحول تكييف هذه الرؤى لطبيعة الدور الغربى فى تنمية أو تخلف أفريقيا، وكذلك حول كيفية تحقيق التنمية فى الفترة التالية للاستقلال، وبرز هذا الاختلاف فى مرحلة ما بعد الاستقلال وما كان يسودها من تنافس أيديولوجى على المستوى العالمى كانت له انعكاساته على سبل تحقيق التنمية؛ فقد ذهب أحد الاتجاهات إلى أن الرأسمالية هى سبيل التنمية الأفضل للدول الأفريقية، فى حين كان هناك اتجاه فكري يؤمن بأن الاشتراكية هى السبيل الأفضل للدول الأفريقية لتحقيق التنمية، وفى محاولة الدول الأفريقية لرفض كافة التصورات التى تتعلق بالاستعمار والغرب فقد تحيز العديد منها للأخذ بالتصور الاشتراكى حتى لو كان ذلك شكلياً، بل وظهر ما أُطلق عليه الاشتراكية الأفريقية التى تقوم على أسس وخصائص المجتمع الأفريقي.

وقد اهتم رودنى بدراسة قضية التنمية فى أفريقيا، وأثر العلاقة بين أفريقيا والغرب على واقع التنمية فى القارة، وكيف كان للخبرات التاريخية أثرها فى تخلف القارة الأفريقية، كما حاول أيضاً أن يقدم السبل والأدوات التى يمكن من خلالها تحقيق التنمية. وقد تأثر رودنى بطبيعة دراسته للتاريخ وبالمرحلة الاستعمارية وما شهده من آثار سلبية لهذه الفترة على المجتمعات التى عاش فى كنفها. لذا سيتم تخصيص هذا المبحث لدراسة الدور الغربى فى تخلف القارة الأفريقية كأحد أبعاد العلاقة بين أفريقيا والغرب، وسيتم ذلك فى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التنمية فى فكر رودنى.

المطلب الثانى: طبيعة الدور الغربى فى تخلف أفريقيا.

المطلب الثالث: آليات وسبل تنمية أفريقيا.

المطلب الأول: مفهوم التنمية فى فكر رودنى

اهتم رودنى فى العديد من الدراسات والكتابات التى قدمها بدراسة أبعاد مفهوم التنمية عند الإنسان الأسود فى أفريقيا والكاريبي وتطورها تاريخياً، وكذلك دراسة وتتبع تطور طبيعة الدور الغربى فى تخلف القارة، وهو فى تعريفه لمفهوم التنمية ينطلق من عدة مسلمات فى محاولة تقديمه تعريفاً إجرائياً للتنمية من أهمها:

- أن كافة مراحل التطور تعتبر مؤقتة وانتقالية ومصيرها أن تفسح المجال- آجلاً أم عاجلاً- لمراحل أخرى، وهذا ما يؤكد عليه عند تعامله مع الرأسمالية وحتمية تراجعها وانتهاء هيمنتها العالمية[1].

- استحالة تحقيق التنمية فى أفريقيا دون قطيعة جذرية مع الرأسمالية العالمية التى يرى أنها كانت السبب الرئيسي فى تخلف القارة تاريخياً، وهى سبب الاستعمار، بل وتتساوى معه فى فكر رودنى، وأنه لا يمكن أن تتحقق التنمية فى ظل الأيديولوجية التى كانت السبب والمظلة الأساسية للاستعمار والعنصرية تاريخياً[2].

ويرى رودنى أن: «تنمية المجتمع البشرى عملية متعددة الجوانب، وهى تتضمن على المستوى الفردى تحسناً فى مستويات المهارة والكفاءة والحرية والإبداع والانضباط الذاتى والمسؤولية والحياة المادية...وتعتمد على مستوى الجماعة الاجتماعية التى يعيش الفرد فى ظلها، وكذلك على تنظيم العلاقات داخلها

(١) وولتر رودنى، أحمد القصير (مترجم): **أوروبا والتخلف فى أفريقيا** (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون و لآداب، ١٩٩٨)، ص ١٧.

(٢) م. س.، ص ٥.

وخارجها»[1]، وكان اهتمامه بدراسة مفهوم ونظريات التنمية لاستخدامها فى تحقيق التنمية للإنسان الأسود والخروج عن مراحل التخلف التى سادت منذ الاتصال الأوروبى بأفريقيا، تلك المرحلة التى أسهمت فى تدمير العديد من سمات ومظاهر وأسس التنمية فى المجتمع الأفريقي، ويؤكد على أن الإنسان الأسود قد حُرم من نتائج وآثار التنمية فى مجتمعه حتى فى المجتمعات التى كان فيها هو أساس التنمية، ولذلك فالتنمية عند رودنى هى تنمية لكافة الجماعات السوداء فى كافة أماكن استقرار هذا الشعب[2].

وتختلف الدول فى درجة التنمية نتيجة الاختلاف فيما أطلق عليه رودنى «البنية الفوقية» والتى يقصد بها: «أشكال العلاقات الاجتماعية وأنماط الحكومات، وأنماط السلوك، وأنساق المعتقدات التى تنشأ نتيجة تفاعل وصراع البشر مع البيئة المادية التى تحيط بهم، ويتم التفاعل بين هذه العناصر من ناحية، وبينها وبين البيئة المادية من ناحية أخرى»[3].

ولذا يرى أن سمات البنية الفوقية فى المجتمع الغربى قد تم تكوينها على أساس من الرأسمالية المادية التى تهدف فقط إلى أكبر ربح يمكن تحقيقه، ولذلك يرى أن الرأسمالية تشكل تراجعاً وتخلفاً عن بعض القيم والجوانب التى كانت سائدة فى الوقت السابق، ومن أهمها الجوانب الإنسانية والعلاقات الاجتماعية وإشباع الاحتياجات الأساسية للطبقات الفقيرة من الشعب، وأن تلك الجوانب تتناقض جميعها مع الرأسمالية التى تهدف إلى الربح، وأطلق على ذلك «رذيلة عنصرية الجنس الأبيض»، مدللاً على ذلك بالتناقض الذى يوجد فى المجتمعات الرأسمالية من

(١) م. س.، ص ٧ و ٨.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122.

(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ١٥.

وجود طبقات تصل إلى درجة من الثراء فى حين تظل طبقات أخرى تحت خط الفقر[١]، ولذا يؤكد على أن التنمية تعنى حدوث تقدم يلغى الجماعات ذات الامتيازات والجماعات المحرومة المقابلة لها[٢].

من ناحية أخرى يرى رودنى أن التخلف لا يعنى انعدام التنمية، فقد حقق كل شعب درجة من التنمية، والتخلف بذلك هو مفهوم لمقارنة مستويات التنمية، وهو يعبر عن علاقة استغلالية من نوع خاص، حيث إن شعوب العالم تُستغل من فئة معينة من الدول الرأسمالية الغربية، ويؤكد على أن التخلف الذى يقلق العالم الآن هو نتاج هذا الاستغلال الرأسمالى الاستعمارى، ويدلل على ذلك بأن أفريقيا كانت على درجة من التنمية حتى سيطرة الرأسمالية عليها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وأعقب ذلك تصدير الفائض واستغلال الموارد لصالح الغرب بما جرد تلك المجتمعات من ثمار استغلال مواردها الخاصة[٣].

ويرفض رودنى الاتجاه القائل بأن الرأسمالية هى أعلى مراحل التنمية، ولا يوجد وقت أو مظهر يدل على نهايتها أو تراجعها فى المستقبل، ويؤكد على أنه بالرغم من سيطرة الرأسمالية على النماذج التنموية فى الدول التى كانت مستعمرات لها، لكنه يحكم عليها بالانقراض والسقوط، وسوف تحل الاشتراكية محلها، وهذه الأخيرة تعبر عن خطوة متقدمة من التنمية الاجتماعية الشعبية، وقد أكد هذه الرؤى من خلال العديد من الأدلة التى تستمد من أوجه ومظاهر الضعف فى النظام الرأسمالى نفسه، ويشمل ذلك حالة عدم التشغيل الكامل للقدرات الإنتاجية فى النظام الاقتصادى، كما يؤكد على الكوارث الاقتصادية المؤقتة التى تنبع من مفهوم السوق،

(١) م. س، ص ١٦ و ١٧ .

(٢) م. س، ص ٢٣.

(3) James Sidaway: Walter Rodney 1942-1980, In David Simon (ed.): **Fifty Key Thinkers on Development**, (London: Routldge, 2006), p.208.

وكذلك الفقر المرتبط بفئات بعينها فى المجتمع وبدول بعينها على المستوى العالمى، ويؤكد على أن هذه السمات قد انتشرت مع سيطرة الرأسمالية، وهذه السمات ستجبر بعض من الفئات ضحايا الرأسمالية على الاستمرار فى خدمتها ولكن مقابل الحصول على ما يناسب المجهود والعمل الذى تقوم به وبخاصةً الطبقات العمالية، وانتشار مثل ذلك السلوك سيكون مسؤولاً عن تغيير أهداف الإنتاج من خدمة السوق النقدى الدولى فحسب، لتصبح الاحتياجات الإنسانية من بين أهداف النظام، ومع زيادة معدل الانتشار لهذه السمة ستظهر القيم الاشتراكية التى ستشكل مرحلة تالية للرأسمالية، وهذه نتيجة طبيعية لأوجه الضعف وتغير أهدافها وسماتها الفكرية[1].

وقد قدم رودنى عدداً من المعايير والمحددات التى استخدمها فى تعريف التنمية، والتى يؤكد من خلالها أيضاً على أن استمرار استغلال الغرب للقارة سيؤدى لتفاقم حالة التخلف، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال عدد من المعايير من أهمها: متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى، ومتوسط إسهام القارة فى التجارة الدولية، وتوزيع الأراضى والملكية العقارية بين الجماعات المختلفة داخل الدول الأفريقية، ومستوى التقدم التكنولوجى، ومتوسط نصيب الفرد من السلع الأساسية كالسكر والحديد الصلب، إلى جانب نمط التغذية وأسلوبها وما أطلق عليه «المجاعة البروتينية»، والخدمات الاجتماعية التى تُقدم، وتوقع الحياة للأفراد، وأيضاً معدل وفيات الأطفال دون السنة ودون الخمس سنوات، كذلك نسبة العمالة الماهرة، كما ناقش رودنى «استنزاف العقول»، ونسبة القطاعات الصناعية من الاقتصاد الوطنى، ومعيار سوء الدخل، وكيف يحصل أشخاص لا يشاركون فى الإنتاج على النسبة الأكبر من الثروة، بل وتصبح الصناعة الرئيسية فى الدول

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.**, p.125.

المتخلفة هى «الإدارة»[١].

كما تناول رودنى الأشكال المختلفة للتنمية بشئ من التفصيل، ونقطة البدء عنده هى التنمية الاقتصادية والتى يعتبرها مسؤولة عن انتقال المجتمعات من مرحلة إلى أخرى أكثر تطوراً، ويعنى بالتنمية الاقتصادية: «زيادة قدرة أعضاء المجتمع متضامنين على التعامل مع البيئة، ويعتمد الأخير على مدى إدراكهم لقوانين الطبيعة (العلم)، وعلى وضعهم لهذا الإدراك موضع التطبيق باستخدام أدوات (التكنولوجيا)، وعلى أسلوب تنظيم العمل»[٢]، ولا ينظر رودنى إلى الزيادة فى الأرباح واتساع نطاق الإنتاج على أنها فقط التنمية، لكنه أكد على الجوانب الاجتماعية للتنمية، ورفض استغلال فئات بعينها وبخاصة العمال تحت زعم التضحية من أجل التنمية، لذا فالعلاقات الاجتماعية من الأبعاد المهمة للتنمية، وهو يرفض نمط هذه العلاقات الاجتماعية الذى يتُبع فى الرأسمالية، وتعتبر الأخيرة مرحلة سابقة للإمبريالية، ويعرفها بأنها: «ممارسة الدول الغربية الهيمنة السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية على العالم، ومن ثم يقُسم العالم إلى قسم مُستغِل وقسم آخر مُستغَل، جانب يمثل السادة وآخر يمثل المقهورين، شق يصنع السياسة وآخر عليه أن يتبعها»[٣].

وتناول رودنى أيضاً التنمية السياسية التى يعرفها بأنها: «تطورات الجماعة السياسية وظهور هياكل وأجهزة يمكن من خلالها ممارسة السلطة كنقطة بداية فى سبيل ظهور الدولة فى مرحلة متقدمة»، وتتوافق التنمية السياسية مع حدوث تنمية اقتصادية فى هذه المجتمعات لتوفير موارد تستطيع هذه الوحدات السياسية الإنفاق

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٢٢-٢٨.
(٢) م.س.، ص ٩.
(٣) م.س.، ص ١٩ و ٢٠.

منها على هياكل التنمية[1]، فى حين أن التنمية الاجتماعية عند رودنى تعنى ظهور الهياكل والتشكيلات الاجتماعية والتى تنتهى بظهور الطبقات الاجتماعية واضحة المعالم، ومن خلال تطبيق معيار النشاط الاقتصادى فى التقسيم الطبقى، لذا يؤكد رودنى على أن التوسع فى الاقتصاد فى المجتمعات سيفضى إلى تغير فى شكل الطبقات وفى طبيعة العلاقات التى بينها، ولذلك فإنه مع تدنى مستويات التنمية فى أفريقيا لم تسمح بتبلور الطبقات الوطنية إلى الآن، ولذلك فإن الرأسمالية كانت عائقاً أيضاً للتطور الاجتماعى، ولذلك لاتزال العلاقات الاجتماعية تسيطر عليها سمات العلاقات فى المرحلة الإقطاعية أو مرحلة الرق[2].

المطلب الثانى: طبيعة الدور الغربى فى تخلف أفريقيا

اختلف الدور الغربى وأدواته وأساليبه تجاه التنمية والتطور فى أفريقيا باختلاف المرحلة التاريخية، واختلاف توازن القوى بين الطرفين، هذه هى نقطة الانطلاق عند رودنى فى تناوله لطبيعة الدور الغربى وأثر العلاقة بين أفريقيا والغرب فى تخلف القارة الأفريقية، فقد اتخذ من التطور التاريخى سبيلاً ووسيلة لتحليل واقع التنمية فى أفريقيا قبل الاتصال مع أوروبا، ثم تحليل أثر تجارة الرقيق على تخلف القارة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ثم مرحلة الاستعمار والتى يرى أنها رسخت أسس تخلف القارة الحالى، وأخيراً تناول طبيعة الدور الغربى فى الفترة التالية لاستقلال الدول الأفريقية، وستتم محاولة تتبع رؤية رودنى لطبيعة الدور الغربى فى تخلف أفريقيا وفقا لهذا التقسيم التاريخى.

أولاً: رؤى رودنى حول واقع التنمية فى أفريقيا قبل وصول الأوروبيين:

اتفق رودنى مع العديد من المفكرين الأفارقة فى تناول سمات الواقع الأفريقي

(١) م.س.، ص ٤٧ و ٦٠.

(٢) م.س.، ص ١١-١٨.

قبل وصول الأوروبيين للرد على ما يزعمه الغرب من أن أفريقيا لم يكن لها دور فى تطور البشرية، ولم تكن جزءاً من التاريخ العالمى[١]، ويفضل رودنى الرد على هذا من خلال الحديث عن الثقافات التى كانت سائدة وليس الحديث عن الحضارات التى عرفتها القارة، فالثقافة عند رودنى: «أسلوب الحياة، وتشمل طعام الناس وأزياءهم، كما تتضمن مسلكهم وأسلوب حديثهم والطريقة التى يتعاملون بها مع الموت، ويستقبلون بها المولود»[٢].

ويؤكد على أن القارة قد حققت مستوى من التنمية فى هذه الفترة يفوق كافة أنحاء العالم، ومن أهم هذه المظاهر التى تناولها رودنى هى نشأة الجماعة السياسية، والتى يؤكد أنها كانت قديمة، وقد ارتكنت إلى وجود الأب/ الجد الأكبر فى مجتمعات، واستندت إلى معتقدات دينية فى البعض الآخر، وتواكب هذا التطور مع نظيره فى المجال الاقتصادى، فقد أثرت مبادىء نشأة الجماعة السياسية فى حشد الأفراد للعمل فى الأرض وفى الإنتاج على هذا الأساس العائلى، وكان هذا الأخير هو أساس توزيع المحاصيل والدخل فى المراحل الأولى[٣].

ثم انتقلت المجتمعات الأفريقية إلى مرحلة متقدمة فى وقت لاحق لهذا الأساس الأسرى للعلاقات، فقد انتقلت إلى ممارسة السلطة والنشاط الاقتصادى على أساس من جماعات أو مجتمعات أوسع نطاقاً، وبدأت تظهر الاختلافات فى ملكية الأرض وفى توزيع المنافع لصالح فئات بعينها (الزعماء ورجال الطقوس الدينية)، بما يعنى بدء تبلور أسس لإمكانية ظهور طبقات اجتماعية، ولكنه يؤكد على أن هذه العلاقة لم تصل إلى علاقة استغلال أو عداء بين الطبقات أو الفئات الاجتماعية التى تكونت[٤].

([1]) James Sidaway: **op.cit.,** p.209

(٢) ، ولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٤٥.

(٣) م. س.، ص ٤٧ و ٤٨ .

(4) Walter Rodney: A Reconsideration of the Mane Invasion of Sierra Leone, **The Journal of African History**, (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.8, No.2, 1967), p.225 & 239-241.

وقد عرفت التجارة الأفريقية كذلك المسؤولية الجماعية، فقد عرف الأفارقة أن لكل فرد مجموعة من الحقوق تقابلها مجموعة من الواجبات التى يجب القيام بها، كذلك شهدت تطوراً فى أدوات ممارسة الأنشطة الاقتصادية وبخاصة أدوات الزراعة التى هى النشاط الأساسى للسكان فى هذه الفترة، كما شهدت الصناعة تطوراً ملحوظاً وخصوصاً صناعة الأدوات التى تستخدم فى المجتمع والتى أصبح معظمها من المعادن المختلفة، إذ عرفت هذه المجتمعات كيفية استخراج المعادن والصهر وصناعة الأدوات التى تحتاجها الجماعات فى ممارسة الأنشطة الاقتصادية، بل ويؤكد على أن القارة عرفت التخصص وتقسيم العمل من خلال ما سُمى بـ« نظام الطوائف»، حيث تتخصص كل طائفة فى إنتاج سلعة أو فى صناعة بعينها، وكذلك يؤكد على الازدهار التجارى الذى حدث فى تلك المرحلة، فقد استغل العديد من الجماعات موقع القارة كمعبر تجارى فى القيام بالعديد من الأنشطة التجارية، ولذا ابتعد الاقتصاد فى العديد من مناطق القارة عن مستوى الكفاف، وصاحبت ذلك تغيرات سياسية واجتماعية عدة فى المجتمعات الأفريقية[1].

ويرى رودنى أنه فى مرحلة تالية ظهر العديد من التنظيمات والتدرجات الاجتماعية التى شكلت الأساس الذى قامت عليه الطبقات فى العديد من المناطق، وجاءت تلك التنظيمات والتدرجات: «كتتابع منطقى للتباينات غير العدائية التى سادت المجتمع المشاعى»، وبدأ ظهور هياكل ووحدات سياسية أكثر تطوراً يستخدم رودنى وصف «دول» فى الإشارة إليها، ومع أن هذه الهياكل كانت ضعيفة وغير ناضجة مؤسسياً فى البداية لكنها بدأت تمارس حقوقها السياسية وتوسع من اختصاصات سلطاتها على الجماعات التى قبلت أن تعيش فى كنفها، بل ويؤكد على أن بعض هذه الوحدات قد شهد أشكالاً للحكم تسمو فى تنظيمها ومؤسساتها على

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص. ٤٩-٥٨ .

العديد من نظم الحكم الحالية فى بعض الدول، وبما أن الدولة هى أداة فى يد الطبقة المسيُطرة تستخدمها للهيمنة على باقى المجتمع حسب رؤية رودنى، لذا يرى أن الدول بدأت فى الظهور بعد أن بدأت سمات وخصائص التقسيم الطبقى فى الظهور[١].

إذن كانت أفريقيا فى مرحلة ما قبل الاتصال بأوروبا خليطاً من جماعات وممالك آخذة فى النمو والتطور، وكانت هناك حركة للتاريخ، ولم يكن التخلف الذى ألم بها من الظروف الطبيعية أو من النماذج التاريخية والثقافية أو من الديناميات الداخلية، والتى يؤكد رودنى على ثرائها[٢]، ولكن كان للاتصال الأوروبى أثره فى انقطاع حركة التطور الاجتماعى وعدم النضج الطبقى الذى هو أساس حركة التطور عند رودنى، فالتكوينات الطبقية هى أساس القدرة على بناء هياكل سياسية متطورة، وعادة ما تكون طبيعة النشاط الاقتصادى هى المسؤولة عن ذلك النضج الطبقى، ومع تأثير الاتصال الأوروبى السلبى على هذه الأبعاد نشأت حالة التخلف التى عليها القارة منذ ذلك الحين.

ثانياً: رؤى رودنى حول دور أفريقيا فى تنمية المجتمعات الرأسمالية قبل الاستعمار:

يرى رودنى أن درجة التطور والتنمية التى كانت فى أفريقيا قبل الاستعمار لم تستُخدم فى بلورة الهياكل السياسية والاقتصادية لفائدة أبناء القارة وحسب، بل كان لها تأثيرها فى تنمية الرأسمالية فى المجتمعات الغربية، وبذات القدر الذى أسهمت به أفريقيا فى تطور وتنمية الغرب، كان للأخير دوره فى تخلف القارة الأفريقية، إذ يقول: «إن أفريقيا قد ساعدت فى تطور أوروبا على امتداد تلك الفترة بالقدر نفسه الذى أسهمت به أوروبا فى تخلف أفريقيا»[٣]. ويمكن مناقشة رؤى رودنى فى هذه

(١) م. س.، ص ص ٥٨-٦٣.

(2) James Sidaway: **op.cit.,** p.209 & 210.

(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٩٦.

النقطة فى محورين:

يناقش المحور الأول كيف أسهمت أفريقيا فى التطور الرأسمالى فى الغرب فى مرحلة ما قبل الاستعمار، وينطلق رودنى فى إثباته لهذه النقطة من تطور تاريخى قامت به أوروبا ذاتها وهو بدء الاتصال والتجارة الدولية وسيطرتها على هذه التجارة وأدواتها، وبذلك أدت هذه التجارة إلى تدفق الثروة من أفريقيا إلى أوروبا، فقد كان لسيطرة أوروبا على التجارة تأثيرها فى خلق دول مركزية ودول هامشية[١]، وكانت أولى الخطوات للأوروبيين هى جعل الأفارقة لا يستطيعون التخلى عن السلع الأوروبية، والتى كان يتم استبدالها بأكثر المعادن ثمناً من أفريقيا، وبعد أن تم اكتشاف العالم الجديد ومزارع قصب السكر بدأت الحاجة للأيدى العاملة، وبذلك بدأت تجارة الرقيق بما كان لها من آثار تدميرية على القارة، فى حين كان لها آثار إيجابية على العالم الغربى[٢]، ويعول رودنى على تجارة الرقيق فى تدمير العديد من الهياكل الاجتماعية والاقتصادية للقارة الأفريقية، والتى كانت مسؤولة عن تعثر تطور القارة فى الفترة التالية لذلك[٣]، كذلك نجح الغرب فى إيجاد الانقسامات التى تضمن له استمرارية تجارة الرق، بل ونشأ الرق الداخلى لصالح الفئة التى كانت تخدم مصالح الرأسمالية وبخاصة فى غرب أفريقيا التى تعد من أكثر المناطق تأثراً بهذه التجارة[٤].

ولم يكن إسهام أفريقيا فى تطور الرأسمالية قاصراً على توفير الأيدى العاملة للزراعة والصناعة فى العالم الجديد وفى أوروبا، بل كان لازدهار التجارة ذاتها تأثير فى بروز وتطور العديد من الصناعات مثل صناعة السفن، والشحن، والتأمين، وفى

(1) James Sidaway: **op.cit.,** pp.206-208.
(2) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context of the Atlantic Slave-Trade, **the Journal of Africa History**, Vol.7, No.3, 1966, pp.431-435.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122.
(4) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context…., **op.cit.,** pp.434-436.

تطور الملاحة البحرية وتكنولوجياتها، بل وكان له الفضل فى بروز مدن بعينها فى مجال الصناعة كانت هى أساس الثورة الصناعية فى أوروبا فى الوقت اللاحق، ويرى أن العبيد الأفارقة هم من أسهموا فى اتساع رقعة إقليم الولايات المتحدة حالياً، كذلك كونت أرباح تلك التجارة صناديق تمويل الأحزاب، وكانت السبب فى تمويل عملية الاقتراع والانتخابات، كما كانت أفريقيا مصدراً أساسياً للذهب الذى كان يشكل عملة التداول آنذاك، وسبب القوة الاقتصادية الآن، وبذلك كان له الأثر البالغ فى توسيع التبادل التجارى الرأسمالى[١].

ويرى رودنى أن أساس اقتصادات الدول الغربية حتى القرن التاسع عشر هو «تجارة الرق»، فقد كانت الأخيرة سبب تحقيق التراكم الرأسمالى، ويرى أن أساس تلك التجارة هو العنصرية، التى تضرب بجذورها فى الرأسمالية، وتجد الأخيرة فى العنصرية ما يبررها، وأن تجارة الرقيق وما قد أثرت به على مدركات الإنسان الأسود لذاته، والإنسان الأبيض لهذا الشعب الأفريقي من المحددات الأساسية لطبيعة العلاقة بين الطرفين فى الوقت اللاحق، وقد تناول رودنى هذه التجارة وما ارتبط بها من تبادل غير متكافئ بين الطرفين، وما سببه ذلك من آثار تدميرية على الشعب الأسود[٢]، ويرى أن إلغاء تجارة الرقيق كان بسبب اتساع نطاق العنصرية بشكل أدى إلى إعاقة تطور أفكار الرأسمالية والديمقراطية، وبسبب التطور التكنولوجى الذى لم يكن بحاجة لكثافة الأيدى العاملة[٣].

ويتناول المحور الثانى دور أوروبا فى تخلف أفريقيا فى الفترة السابقة على الاستعمار، فيؤكد رودنى على أنه مع بداية الاتصال الأوروبى بأفريقيا انهار العديد

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ١٠٧ – ١١٢.

(2) Walter Rodney: Portuguese Attempts at Monopoly on the Upper Guinea Coast 1580-1650, **The Journal of African History**, Vol.6, No.3, 1965, pp.307-309.

(٣) وولتر رودنى: م س ذ، ص ص ١١٢ – ١١٥.

من الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كانت قائمة حتى القرن الخامس عشر، ومن أهم الأبعاد التى اهتم رودنى بها تجارة الرقيق السابق الإشارة إليها، ويؤكد على: «أن ما يمثل خيراً للأوروبيين جاء على حساب معاناة تفوق الوصف واجهها الأفريقيون والهنود الأمريكيون، فقد تواكب اكتشاف الذهب والفضة فى أمريكا مع استئصال الهنود من العالم الجديد...وتحويل أفريقيا إلى مصدر للرق فى الوقت الذى برزت فيه الرأسمالية، ومثل ذلك الوقت العصر الذهبى لها»[1]، هذا ما أكده ماركس.

ويرى رودنى أن أحد أهم أبعاد دور الغرب فى تخلف أفريقيا قبل الاستعمار يتعلق بأثر هذه العلاقة على «الركود التقنى وتشويه الاقتصاد الأفريقي»، فقد استثمرت الدول الأوروبية التفوق والتراكم الرأسمالى الذى تم تحقيقه من تجارة الرقيق فى إغراق الأسواق الأفريقية بسلع مختلفة أبهرت الأفارقة، وكان لذلك تأثيره على الصناعات الأفريقية، وحتى الأعمال اليدوية التى كانت تمارس من طوائف أفريقية، ويطلق رودنى على ما حدث فى أفريقيا «التوقف التكنولوجى» أو «الركود التقنى»، وعلى إثر ذلك يرى أن أفريقيا فقدت فرصة التنمية، فلم يكن نمط التبادل التجارى مشجعاً على انتقال التكنولوجيا والتطورات التى تحدث فى أوروبا إلى أفريقيا، ولم تكن تلك هى رغبة قادة الغرب بما يدحض ذريعة رسالة التنوير وعبء الرجل الأبيض، والادعاءات الأخرى التى استُخدمت لاستعمار القارة[2].

ثالثاً: الاستعمار وأثره فى تخلف أفريقيا:

ناقش رودنى فى العديد من أعماله أثر الفترة الاستعمارية فى تخلف القارة الأفريقية، واهتم أيضاً بالرد على الزعم الذى يُروج له بأن الاستعمار كان لفائدة

(١) م. س.، ص ٥٨ و ١٠٦ و ١١٩ و ١٣٠.

(٢) م. س.، ص ص ١٣١ – ١٤٤.

القارة وأنه طور السود، ويؤكد على أن الهدف من الاستعمار هو إعادة الأرباح وفائض القيمة إلى الدولة الاستعمارية الأم، واستغلال السيطرة على السلطة السياسية فى خلق سوق لتصريف السلع الأوروبية، كذلك جعل من القارة الأفريقية مصدراً دائماً للمواد الخام لخدمة الثورة الصناعية فى أوروبا، وكانت الشركات التجارية الكبرى أدوات مفيدة فى ذلك، وقد استخُدمت لاستغلال العامل والفلاح الأفريقي، ولذلك كانت السيطرة المباشرة ضرورة للدول الأوروبية حتى تحمى المصالح القومية، وتضمن أفضل الشروط لاستغلال القارة ومواردها، وتعبر كذلك عن قوتها على المستوى العالمى[1].

وقد استخدمت الإدارة الاستعمارية كافة الأدوات التى تضمن تحقيق هذا الهدف، فكانت البعثات التبشيرية، والكنائس، وكذلك نمط التعليم ومحتوى العملية التعليمية الذى يُقوم أيضاً بخدمة ذات الهدف، بل ويؤكد رودنى على أن الأموال التى استُخدمت فى استعمار القارة هى ذاتها الأموال الناتجة عن التجارة السابقة بين الطرفين، فقد استخدمت تلك الثروات فى توفير مقتضيات العملية الاستعمارية[2].

ويدلل رودنى على أثر الاستعمار فى تخلف القارة من خلال نمط ونوعية الخدمات الاجتماعية التى كانت تُقدم للأفارقة فى ظل الحكم الاستعمارى، وأيضاً ندرة هياكل البنية الأساسية التى عمل الاستعمار على إنشائها كالطرق والسكك الحديدية والخدمات الصحية، وكانت المشروعات التى قام بها الاستعمار فى هذا المجال تخدم فقط أماكن غنية بموارد معينة، أو لتسهيل التجارة، أو تكون أماكن استقرار الجماعات البيضاء كما حدث فى جنوب أفريقيا، بل ويعتبر رودنى أن مثل تلك المشروعات هى

(١) م. س.، ص ص ١٩١ – ٢١٢.

(٢) م. س.، ص ص ٢١٢ – ٢٦٥.

ضريبة يسيرة عن استفادة الدول الغربية من موارد الدول الأفريقية[١].

كذلك لم يسمح الاستعمار بنشأة الطبقات الوطنية، ولم يسمح للإنسان الأفريقي باكتساب المهارات الإدارية حتى يستطيع إدارة بلاده بعد الاستقلال، وتوافق ذلك مع انخفاض مخصصات البحث والتطوير العلمى، ويؤكد على أن ذلك لم يسمح بتكوين الدولة الوطنية فى الدول الأفريقية، بل كانت عبارة عن وحدات إدارية تم تقسيمها وتحديدها عن طريق الاستعمار، وجمع بعضها إثنيات وجماعات مختلفة، فى حين تم تقسيم إثنيات بين عدد من هذه الوحدات، ويرى أن ذلك فتح المجال لرفض البعض للسلطة، وبدأت سلسلة الانقلابات والحروب الداخلية والبينية، بل وضعت السلطات الاستعمارية على سدة الحكم فئات لا تعمل لصالح الشعب، ولم تحاول تنمية حياة المواطن العادى، فقد كان الهدف لمعظم تلك الفئات هو البقاء فى السلطة لأطول فترة ممكنة، ونهب الثروات والموارد[٢].

ويرى رودنى أن تعبير التنمية الذى استُخدم من بعض السلطات الاستعمارية هو تعبير مختزل لتكثيف الاستغلال الاستعمارى لموارد القارة لصالح تنمية الغرب، وعلى الرغم من قصر فترات الاستعمار لبعض أقاليم القارة، إلا أن تلك السنوات كانت السنوات الحاسمة لتحقيق التنمية على المستوى العالمى، ففى حين كانت التنمية فى المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية على حد سواء كانت القارة الأفريقية تتجه نحو المزيد من التخلف[٣].

ولقد استخدم الاستعمار خصائص المجتمع الأفريقي حتى يحافظ على سلطته، ويوقف عملية التنمية، إذ استطاع إدارة مفاهيم القبلية والإثنية والاختلافات الدينية والاجتماعية فى محاولة تأجيج الصراعات، على الرغم من أن الحرب على

(١) م. س.، ص ص ٢٦٧ – ٢٨٠.

(٢) م. س.، ص ص ٢٨١ – ٢٩١.

(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.123.

أساس إثنى لم تكن من المدركات الأفريقية فى الفترة السابقة على الاستعمار، كذلك استخدم الاستعمار التعليم فى تكوين فئة تساعده فى إدارة واستغلال بلادها، بل وكان محتوى العملية التعليمية يقدم المفاهيم الرأسمالية على أنها قيم يجب اتباعها، وكان هذا المحتوى يناقش أوضاع وخصائص وأمثلة من الدول الغربية دون أن يقترب من مشاكل وخصائص المجتمع الأفريقي، وحتى الحملات التبشيرية وأدواتها ودورها كان لخدمة الأهداف الاستعمارية، وتجهيز البيئة الأفريقية لتقبل الحكم الغربى، ويؤكد على أن تحول الأفارقة إلى المسيحية كان بسبب ما تنشره تلك الحملات من إغراءات عن فوائد الرأسمالية وليس المسيحية، وينتقد رودنى ما كانت تقدمه من «مسيحية بيضاء» على حد وصفه، ويرى أن الهدف من التعليم والمسيحية هو أن ينسى الأفريقي قيمه ومعتقداته وعاداته وتقاليده لصالح منظومة قيمية مقُدمة من الغرب، وأن يتحول إلى تابع للدول الاستعمارية، ويتخصص فى إنتاج أو تصدير سلعة أو اثنتين فى حين يظل معتمداً على وارداته من الغرب، ويصف رودنى ذلك بأنه «نمو بدون تنمية» بمعنى زيادة فى أرقام وحسابات، وفى النهاية يخدم مصالح القوى الاستعمارية[1].

كما يرى رودنى أن للغرب اسهاماً قوياً فى حالة التخلف التى عليها القارة الآن مؤكداً على أنه طالما استمرت حالة التخلف فى أفريقيا ستستمر سيطرة الدول الغربية عليها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، لذلك لم يتوقف دورالغرب فى تخلف القارة بعد المرحلة الاستعمارية، لكنه استمر على ذات نهجه حتى بعد حصول الدول الأفريقية على الاستقلال.

رابعاً: طبيعة الدور الغربى فى التنمية الأفريقية بعد الاستقلال:

بالرغم من الإعلانات الدولية والهيئات المتخصصة والمؤتمرات الخاصة بالتنمية

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٢٩٠ – ٣٤٠ و ٣٥٠ – ٣٦٤.

التى تم إنجازها للحد من التخلف فى أفريقيا، إلا أن التخلف لايزال وسيظل موجوداً فى القارة طالما تم الاعتماد على ما تقدمه الدول الرأسمالية من سياسات ونماذج وقيم وبرامج، ومع ذلك رفض رودنى ما يطلق عليه «الحلقة المفرغة للفقر» مدللاً على أن الرأسمالية العالمية من مصلحتها أن تستمر حالة التخلف فى القارة، ومؤكداً على أن السوق الذى نشأ على أساس الرق والاستعمار من الصعب أن يسمح بتحقيق التنمية فى أفريقيا، وأن عنصرية هذا النظام ستمنعه من ذلك، رافضاً كذلك دور الهيئات الدولية التى يعتبرها خادمة لمصالح فئة معينة من الدول، ولم يقبل دور رأس المال الأجنبى معللاً ذلك بأنه يخدم مصالح دول المصدر، وسيكون استعماراً اقتصادياً جديداً، وأكد على أن كافة هذه الأدوات السابقة لن تحقق التنمية بل ستحاول خلق اقتصادات تكُيف إنتاجها وسماتها مع السوق الرأسمالى العالمى[1]، ولن تخدم مصالح مواطنى القارة، مؤكداً على أن الرأسمالية العالمية ودور الولايات المتحدة قد حافظ على الكثير من سمات المرحلة الاستعمارية، وهذا ما جعله يؤكد على أهمية التغيير الثورى السريع والثورة ضد الرأسمالية العالمية[2]، والتى تحتاج لعدد من الآليات والأدوات التى حاول رودنى أن يقدم أمثلة لها.

المطلب الثالث: آليات وسبل تنمية أفريقيا

حاول رودنى أن يقدم تنظيراً فكرياً لقضية التنمية وأهم سماتها فى المجتمع الأفريقي، واتساقاً مع طابعه الحركى للتعبير عن أفكاره حاول أن يقدم الأدوات والوسائل التى يمكن للقارة من خلالها أن تحد من حالة التخلف، وأن تبدأ نهجاً تنموياً، ويعول فى هذا النهج الإصلاحى على دور الأدوات والقوى والوسائل الأفريقية «المصدر والسمات»، ولعل من أهم تلك الأدوات:

(١) م. س.، ص ص ٣٧١ – ٣٧٥.

(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.58. & - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126.

أولاً: الاستفادة من الدروس التاريخية:

يمكن القول بأن الاستفادة من الدروس التاريخية من الأدوات المهمة التى أكد رودنى على أهميتها للقارة الأفريقية، ويمكن أن تتم الاستفادة من التاريخ على جانبين، الأول منهما نفسى وهو يكمن فى تخلص الأفارقة من حالة الدونية والقيم والمعتقدات الخاطئة التى حاول الاستعمار أن يغرسها فى العقلية الأفريقية، وعلى الجانب الآخر يرى رودنى أن التاريخ الأفريقي يمكن أن يكون مصدراً لنماذج تنموية لها الصبغة الأفريقية[1]، مؤكداً على أسبقية أفريقيا تنموياً، ولذلك أخذ على عاتقه إعداد جيل فى جامعة دار السلام يعرف ويعى ما فى التاريخ من نماذج وقيم، وأكد على أهمية إعادة النظر فى العديد من المراحل التاريخية[2].

ثانياً: الثورة والعنف كأدوات تغيير وتنمية:

حاولت الدول الغربية أن تحافظ على علاقات تبعية الدول الأفريقية لها من خلال البرامج والأدوات والهياكل التى تعلن أنها تهدف لتنمية القارة، ولذلك حاولت من خلال مفهوم التنمية ومن خلال النماذج والرؤى والخطط والمنظمات التنموية والعالمية أن تحقق فقط مصالحها، وأن تقدم الأدوات والمفاهيم والنماذج والخطط التى تحقق مصلحة الغرب، وتحافظ على تخلف القارة[3]، لذا فمن الأدوات الأساسية التى قدمها رودنى لإحداث التغيير والتطوير والتنمية فى أفريقيا هى الثورة والعنف كأدوات تستطيع الشعوب الأفريقية من خلالها التخلص من حالة التبعية للغرب، ومن ثم تصبح للدول الإرادة المنفردة فى صياغة النماذج التنموية

(1) Walter Rodney: African Slavery and other Forms of Social Oppression on the Upper Guinea Coast in the Context…., **op.cit.,** p.67.
(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.56 & 57.
(3) For Example look
- Heather Deegan: **Africa Today: Culture, Economic, Religion, and Security** (London: Routledge, 2009), pp.57-75.

التى تعكس خصائص وسمات المجتمع الأفريقي، إذ يقول: «خطوتنا الأولى هو أن نستنفذ السبل السلمية للقيام بالتغيير، ويبدو أن العصيان المدنى يدل على ذلك...وأن ما سيحدث بعد ذلك سيكون مسؤولية من أغلقوا كافة السبل للقيام بتغيير سلمى»[1]، ولكن رؤية رودنى تبدأ من ضرورة تحرير المثقفين والمفكرين فى المجتمع من عقيدة الرأسمالية ومن أن ما تقُدمه هو الأفضل، وهو ما يجب أن يتبُع، ومن ثم يستطيع هؤلاء المثقفون قيادة حركة الرفض ضد الرأسمالية، ويصبح لهم الدور فى رفع مستوى وعى الشعب عامة وطبقة العمال بصفة خاصة، وأكد على ضرورة رفض النماذج التنموية التى يقدمها الغرب واستثماراته والشركات المتعددة الجنسيات؛ لأنها ليست أدوات تنمية بقدر ما هى أساليب لإعاقة محاولات التنمية التى يمكن أن تظهر فى أفريقيا من النماذج القيمية والثقافة المحلية[2].

ثالثاً: التعليم كأداة للتنمية :

حتى يستطيع الشعب الأفريقي أن يحقق التنمية لابد له من الكوادر والشخصيات التى تستطيع أن تقود تلك العملية، ويتم ذلك من خلال عملية تعليمية يتساوى فى الحصول عليها أبناء القارة، وأن يكون محتوى تلك العملية التعليمية يتناسب مع قيم ومعتقدات القارة، ويكون الهدف منه هو التصدى للمشكلات والتحديات التى تواجه القارة، لذا أكد على ضرورة أن تتحرر المؤسسات التعليمية من المحتوى الاستعمارى والنماذج الغربية التى يتم تقديمها، وكان من أنصار تأسيس الجامعات الوطنية التى تبُنى على خصائص وسمات المجتمع الأفريقي دون محاولة نقل نماذج من الدول الغربية، ونقطة البدء فى سبيل تحقيق التنمية أن تنمى وتقدم هذه المؤسسات القيم الأفريقية والتاريخ الأفريقي،

(1) Carl Blackman, **op.cit.,** p.2.
(2) Clive Thomas: **op.cit.,** pp.11-13.

وأن تحاول جعل اهتمامات الإنسان الأفريقي المتعلم اهتمامات أفريقية خالصة[١].

رابعاً: التنمية الذاتية واستخدام الموارد الأفريقية:

حتى تستطيع القارة أن تحقق التنمية، وتترك دور التابع، وتنأى بنفسها عن الممارسات الاقتصادية التى تعبر عن تبادل اقتصادى غير متكافئ لابد لها من تنمية ذاتية وفقاً لنماذج من ثقافتها وقيمها، وحتى عند الأخذ بالنماذج الخارجية لابد أن تصطبغ بالصبغة الأفريقية، ولذلك رفض رودنى دور الاستثمارات الأجنبية والقروض والهبات والمنح والشركات المتعددة الجنسيات، وأعتبرها من أدوات الاستعمار الجديد التى لا تهدف لتنمية القارة بقدر ما تهدف إلى خدمة مصلحة الغرب والوقوف فى وجه مظاهر التنمية التى يمكن أن تبرز فى القارة، بل ويرى أن أنشطة هذه المؤسسات تشبه الدور الذى قامت به مؤسسات الغرب فى مرحلة تجارة الرقيق فى الفترة السابقة على الاستعمار المباشر، ولذا يرى أن نقطة البداية تكون من خلال استخدام ثروات القارة فى خدمة مصالح وأهداف وتطلعات شعوب القارة، وليس استجابة لخطط وبرامج وأهداف غربية فقط[٢].

لذا يعتبر رودنى جزءاً من التيار الذى يرى أن حالة التخلف التى عليها القارة الآن هى من نتاج العلاقة مع الغرب بـ لأساس، ويرى أن تلك العلاقة كانت أساس الأسباب الأخرى لتخلف القارة، بل ن الاستعمار دمر الأسس التى كانت سابقة على علاقته بالقارة، وهو تيار له وجود وثقل بين مفكرى القارة الأفريقية[٣].

***

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126. **&** - David Renton: **op.cit.,** p.152 & 153.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.117 & 122-124. **&**
- وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ١٧٤-١٧٦ و ٢١٢ و ٢٨٦.

(3) Peter Lewis: **Africa: the Dilemmas of Development and Change** (Colorado: Perseus Press Group, 1998), pp.1-12.

خامساً: الاشتراكية كمرجعية أيديولوجية تنموية:

كان رودنى يرفض الرأسمالية كسبيل لتنمية القارة الأفريقية سياسيًّا واقتصاديًّا، لأنه يعتبر أن الرأسمالية هى الاستعمار، وهى مقدمة منطقية للإمبريالية، وقد تم بناؤها على أسس الاستعمار واستغلال القارة، مؤكداً على أن الاشتراكية سيتم قبولها من الأفارقة كسبيل للتنمية؛ لأنها تهتم بإشباع احتياجات الإنسان، ولا تغفل العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وهى أيديولوجية الفئات المقهورة كالعمال وهم فئة يغلب على تكوينها الأفارقة، كذلك لم يكن للدول الاشتراكية مستعمرات فى القارة بما سيسهل قبول الجماهير الأفريقية النفسى لها، وهذا ما سييسر التعبئة الجماهيرية، مؤكداً على ضعف الهيكل الطبقى الذى خلفه الاستعمار والذى لم يسمح بنشأة الطبقات الرأسمالية الوطنية التى تهدف لمصالح القارة، لذا فإن الطبقة الرأسمالية الضعيفة تخدم مصالح الغرب[1]، بينما هناك طبقة عمالية لها نفس الخبرة العنصرية والتى يمكن أن يستخدمها لتوحيد هذه الفئة لتكوين طبقة، ولذا اهتم بالنشاط بين هذه الطبقة لرفع الوعى وتكوين الهيكل المؤسسى لها[2]، ويؤكد: «يرتبط كل من التحول فى البيئة الأفريقية والتحول فى العلاقات الاجتماعية بانقطاع العلاقة مع الإمبريالية والقيام بالوحدة السياسية والاقتصادية الأفريقية، ويمكن القيام بهذه المهام التاريخية فقط تحت مظلة الاشتراكية ومن خلال قيادة الطبقة العاملة»[3]، وإن كان ذلك يطرح تساؤلاً حول مدى رغبة وإمكانية الدول والبيئة الأفريقية فى تطبيق الاشتراكية، وهل من الأفضل أن تكون النماذج التنموية

(1) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٧ و ١٦ و ١٨ و ٣٣ و ٣٦ و ٣٧.

(2) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.124 & 125.

(3) Walter Rodney: Toward Sixth Pan African Congress: Aspects of Class Struggle in Africa, the Caribbean, and America, In Malefi K. Asante & Abushardow Abarry (eds.): **African Intellectual Heritage: A Book of Sources** (Philadelphia: Temple University Press, 1996), p.733.

والسياسية نابعة من سمات وقيم وثقافة أفريقية؟

ويمكن القول بأن رودنى قد تنـول قضية التنمية برؤية أقرب إلى الشمول، ولكنه يعول كثيراً على دور الطرف اخارجى فى تخلف القارة، فلم يكن التخلف الذى ألم بها من الظروف الطبيعية أو من النماذج التاريخية والثقافية أو نتاج ديناميات محلية، والتى يؤكد رودنى على ثرائها، وإنما يُفسر التخلف الذى عليه الواقع الأفريقي الآن بتأثير سياسات وأدوات الغرب فى التعامل مع القارة التى أدت إلى إيقاف هذه التنمية، بل دمرت الأسر والهياكل التنموية التى كانت قائمة، وأكد أنه لا يمكن تحقيق التنمية بسبل ووسائل وتصورات ونماذج من إنتاج الأيديولوجية التى كانت مسؤولة عن فترات الاستعمار والممارسات العنصرية، وأن الغرب حاول ابتكار الوسائل والسياسات التى يحافظ من خلالها على القارة فى موقع التابع بشكل يخدم مصالحه ومنافعه، كما حاول أن يجعل من الاستقلال الذى حصلت عليه الدول الأفريقية استقلالاً شكلياً فى العديد من أبعاده. وحتى عند حديثه عن الأسباب الداخلية لتخلف القارة يرى أنها كانت انعكاساً مباشراً لما تركه الاستعمار وتجارة الرقيق والسياسات الرأسمالية فى القارة، ولجأ إلى هذا التفسير أيضا عند تبريره لاختلاف مستويات التنمية بين الأجزاء المختلفة للقارة معللاً ذلك بأن الأماكن التى لم تشهد تجارة الرقيق أو الاستعمار لفترات طويلة هى الأفضل من حيث مستوى التنمية، وإن كانت هناك نماذج تعتبر شاذة عما يقوله رودنى، لكن تظل الرؤية التى قدمها من الأهمية والشمول حول قضية لاتزال أحد أهم أبعاد العلاقة بين أفريقيا والغرب.